تجارة شهر رمضان الرابحة الصّدقة

إعداد

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :



دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى الذي أكرم عباده بشهر رمضان، ووالى عليهم جلائل الإحسان، والصلاة والسلام على المبعوث بالقرآن، وعلى آله وأصحابه كواكب الحيران.

وبعد:

أخي المسلم: إليك يا من ذاق نفحات شهر النفحات

إليك يا من عاش أيام شهر التجليات

إليك يا من اشتاقت نفسه إلى تلك الأيام المباركات

ها هو شهر النفحات يطل عليك بطلائعه الميمونة ... ومواكبه الطاهرة ... فهل أعددت نفسك – أيها الموفق – لتكون فيمن يستقبل تلك المواكب الميمونة؟!

إنه: (شهر رمضان) موسم الطاعات ... وسوق الصالحات ... وأيام اقتناص الحسنات.

شهر القرآن وشهر الجود والإحسان!

فإيـــاك أيهـــا العاقـــل أن تكـــون من المحرومين فيه!

درة رمضانية

أخي المسلم: شهر رمضان: شهر الحسنات ... الصائم فيه بين حسنة ماضية وحسنة قادمة!

وفي هذه الصفحات سأذكرك بدرة من درر رمضان وبباب من أبواب الخير قليل من يلجه

أتدري ما هي هذه الدرة؟!

إنها (الصدقة في رمضان!) غنيمة باردة من غنائم هذا الشهر المبارك!

أخي: لست تجهل فضل الصدقة ... وعظيم شرف الإحسان ... ولكن للصدقة في رمضان مذاق خاص ... وشرف عظيم!

قال الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 261].

وقال النبي ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في**

سبيل الله، أو القائم الليـل، الصـائم النهار» [رواه البخاري ومسلم].

قال يحي بن معاذ: «ما أعرف حبة تــزن جبال الدنيا إلا من الصدقة».

وشهر رمضـان – أيهـا الموفـق – فرصـة نادرة لاقتناص هذا الشرف العظيم ... يحيـا المســـلم أيامـــه ولياليـــه بـــألوان من الطاعات ... لا تسل عن عظيم ثوابها!

فهــو شــهر تضــاعف فيــه الحســنات ... وترفع فيه الدرجات!

المحروم من حرم خيره ... والشقي من خرج صفرًا من أيامه الزاهرة!

فمــا هــو نصــيبك – أيهــا العاقــل – من حسنات هذه الدرة (الصدقة في رمضان)؟!

وإياك أن تفهم أن هذا الفضل لا يبلغه إلا أصـحاب الملايين! بـل أنت من أهلـه بقليـل تجود به نفسك!

وإليك البشارة: قال رسول الله ﷺ: «**من فطر صائمًا كان له مثـل أجـره، غـير أنه لا ينقص من أجـر الصـائم شـيئًا**»

[رواه أحمد والترمذي/ صحيح الجامع للألباني (6415)].

وإليك بشارة أخرى: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سرورًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطعمه خبزًا**» [رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والبيهقي في «الشعب»/ صحيح الجامع (1096)].

أخي المسلم: إنه: (شهر الجود) وأهل الجود والصدقة فيه من الفائزين بتلك الدرة الرمضانية ... ومن المتخلقين بخلق يحبه الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة، يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**» [رواه الطبراني وأبو نعيم في "الحلية"، والبيهقي في "الشعب" والحاكم/ صحيح الجامع للألباني (1800)].

رمضان شهر الجود

أخي المسلم: هل تذكرت الجود وأنت تعيش نفحات رمضان؟!

هل تذكرت بر المساكين وأنت في شهر الجود؟!

هل تذكرت الإحسان إلى الضـعفاء وأنت في شهر الرحمة؟!

سُـئل بعض السـلف: لم شُـرع الصـيام؟ قال: «ليذوق الغني طعم الجوع، فلا ينسـى الجائع».

فيــا من أظلــك شــهر الجُــود ... تــذكر الجُود...

ويـــا من أظلـــك شـــهر القـــرآن تـــذكر الإحسان.

قــل لي - أيهــا الموفــق - ألا تــرى كيــف يقلق الجوع الحشى؟!

ألا ترى كيف ييبس الظمأ العروق؟!

فإن كان هذا حالك شهرًا واحــدًا، فكيــف بمن هذا حاله عامه كله!

ولكن هنالـك من أهـل الجـود والإحسـان من لا يهنـــأ لهم عيش إلا ببـــذل المعـــروف للضعفاء وأهل الحاجة.

قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: «مـا

أصبحت صباحًا قط، فـرأيت بفنـائي طـالب حاجة، قد ضاق بها ذرعًا فقضيتها؛ إلا كـانت من النعم التي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحًا لم أر بفنـائي طـالب حاجـة، إلا كـان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجـل الأجر عليها»!

وعن عروة بن الزبـير قـال: «لقـد رأيت عائشة – رضي الله عنها – تصدقت بسبعين ألف درهم، وإنها لترقع جانب درعها»!

وذكر أن مالك بن دينار كان جالسًـا ذات يوم، فجاءه سائل وسأله شيئًا، وكـان عنـده سلة تمر، فقال لامرأته: ائتيني بها.

فجاءت به، فأخذها مالك فأعطى نصـفها السائل، ورد نصفها إلى امرأته.

فقالت له امرأتـه: مثلـك يسـمى زاهـدًا! هــل رأيت أحــدًا يبعث إلى الملــك هديــة مكسرة؟!

فدعا مالك بالسائل، وأعطـاه البقيـة، ثم أقبــل على امرأتــه، فقــال لهــا: يــا هــذه، اجتهدي ثم اجتهدي، فـإن اللـه تعـالى قـال: **﴿خُــذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَــلُّوهُ ***

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَـبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ [الحاقة: 30-32].

فيُقال: من أين هذه الشدة؟! قال: **إِنَّـهُ كَـــانَ لَا يُـــؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْـكِينِ** [الحاقـة: 33، 34].

اعلمي أيتهـا المـرأة إنـا قـد طرحنـا من أعناقنا نصفه بالإيمان، فينبغي لنا أن نطـرح النصف الآخر بالصدقة!

وكان أبو القاسم الجنيد لا يمنع قط أحدًا سأله شيئًا، ويقول: «أتخلق بـأخلاق رسـول الله ».

وكـان حمـاد بن أبي سـليمان يقـول: «لولا سؤال المحتـاجين لي مـا اتجـرت في شيء أبدًا»!

وكـان السـري السـقطي يقـول: «ذهب المعـروف، وبقيت التجـارة، يعطي أحـدهم لأخيه الشيء لأجل أن يعطيه نظيره»!

وكان بقيـة بن الوليـد يـدخل دار صـديقه في غيبتـه، ويأخـذ القـدر من النـار، ويضـعه على بـاب الـدار، فيأكـل منـه، ويفـرق على

الفقراء والمساكين، فإذا جاء أخوه فرح بذلك، وقال: جزاك الله من أخ صالح خيرًا، قدمت لنا اليوم معادنا!

أخي المسلم: تأمل في مواقف هؤلاء الأمجاد ... قوم لذة المعروف عندهم فوق كل لذة! قوم وطنوا أنفسهم على اكتساب الذخر الباقي ... والتجارة الرابحة.

فأين أنت من تلك المناقب الزاهية؟!

وها هو شهر الجود يدعوك إلى الجُود ... وها هو شهر الرحمة يدعوك إلى رحمة الضعفاء ... فهل أنت من الملبين لهذا النداء؟!

جُود رسولنا ﷺ في رمضان

الجود من الأخلاق الفاضلة التي لا يتخلق بها إلا أهل المروءات ... ورسولنا ﷺ قد نال من كل خُلُق فاضل أرفعه ... ففي دنيا الجود والكرم ...كان أجود الناس يدًا ... وأكرمهم عطاءً ... ولكن جوده ﷺ في رمضان كان جودًا من نوع آخر ... وهو ما يجعل للجود في رمضان مقامًا ساميًا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل، كان أجود بالخير من الريح المرسلة» [رواه البخاري ومسلم].

قال الحافظ ابن رجب: «فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام، وهو أفضل الملائكة وأكرمهم، ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه، وهو أشرف الكتب وأفضلها، وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق».

وقال أيضًا: «وكان جوده ﷺ يتضاعف في

شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضًا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة».

أخي المسلم: إن كثرة جوده ﷺ في رمضان كان لمعان كثيرة، ينبغي أن تفهمها، إذ إن النبي ﷺ هو المبين للشريعة، وفي كثرة جوده ﷺ في رمضان؛ لفت لك أيها المسلم إلى تلك المعاني العظيمة، وقد ساق هذه المعاني الحافظ ابن رجب، حيث قال:

منها: شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه.

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا.

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر، والله

تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قـال ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحمــاء**» [رواه البخاري ومسلم].

فمن جاد على عباد الله، جـاد اللـه عليـه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنـة، كمـا في حـديث علي رضـي الله عنه عن النبي ﷺ قـال: «**إن في الجنـة غرفًــا يــرى ظهورهــا من بطونهــا، وبطونها من ظهورها**» قالوا: لمن هي يا رسـول اللـه؟! قـال: «**لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليــل والنــاس نيــام**» [رواه أحمــد والترمذي والحاكم].

وهذه الخصـال كلهـا تكـون في رمضـان، فيجتمــع فيــه للمــؤمن الصــيام، والقيــام، والصــدقة، وطيب الكلام، فإنــه يُنهى فيــه الصائم عن اللغو والرفث.

ومنهـا: أن الجمـع بين الصـيام والصـدقة أبلــغ في تكفــير الخطايــا، واتقــاء جهنم، والمباعدة عنها، وخصوصًا إن ضم إلى ذلـك

قيام الليل.

ومنها: أن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل ونقص ... وعامة صيام الناس لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي، ولهذا نُهي أن يقول الرجل: صمت رمضان كله، أو قمته، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث.

ومنها: أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله، فإذا أعان الصائمين على التقوى على طعامهم وشرابهم؛ كان بمنزلة من ترك شهوة لله، وآثر بها، أو واسى منها، ولهذا يشرع له تفطير الصائم معه إذا أفطر؛ لأن الطعام يكون محبوبًا له حينئذ، فيواسي منه، حتى يكون ممن أطعم الطعام على حُبَّه، ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له، ورده عليه بعد منعه إياه، فإن هذه النعمة إنما عُرف قدرها عند المنع منها. باختصار.

لماذا الصدقة في رمضان

أخي المسلم: الصدقة لا شك مندوب

إليها في كل حين ... ولكن صـدقة رمضـان لها قدر خاص ... وقد مر معك كلام الحافظ ابن رجب في ذلك.

قـال الإمـام الشـافعي: «أحبُّ للرجـل الزيـادة بـالجُود في شـهر رمضـان، اقتـداءً برسـول اللـه ﷺ، ولحاجـة النـاس فيـه إلى مصـالحهم، ولتشـاغل كثـير منهم بالصـوم والصلاة عن مكاسبهم».

أخي المسـلم: إن شـهر رمضـان شـهر تساوى في نهاره الناس؛ من غني وفقير ... فالكـل مفطـوم عن الطعـام والشـراب ... ولكن عند الإفطار يظهر الفرق!

فـترى الغـني قـد امتلأت مائدتـه بـأنواع الطعام والشـراب! وأمـا الفقـير فهـو يسـد رمقه بما يجده أمامه ... وقد لا يجد ذلك!

فيـا صـاحب المائـدة الحافلـة بـألوان المـأكول والمشـروب ... هـل ذكـرك جـوع الصيام أخًا لك لا تصل يداه إلى تلك الألوان من الطعام؟!

كان ابن عمر رضي الله عنهما يصوم ولا يفطـر إلا مـع المسـاكين، فـإذا منعهم أهلـه

عنه، لم يتعش تلك الليلة! وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه، أخذ نصيبه من الطعام، وقام فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة، فيصبح صائمًا ولم يأكل شيئًا!

اشتهى بعض الصالحين من السلف طعامًا، وكان صائمًا، فوضع بين يديه عند فطوره، فسمع سائلاً يقول: من يقرض الملي الوفي الغني؟! فقال: عبده المعدم من الحسنات!

فقام فأخذ الصحفة فخرج بها إليه، وبات طاويًا!

وجاء سائل إلى الإمام أحمد، فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره، ثم طوى وأصبح صائمًا!

وكان الحسن البصري يطعم إخوانه وهو صائم تطوعًا، ويجلس يروحهم وهم يأكلون!

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم.

أخي المسلم: اجعل من شهر رمضان

واعظًا لك ... ومذكرًا بآلام الضعفاء ... فإن رمضـان مدرسـتك ... فإيـاك أن تكـون من الفاشلين فيها!

وتقبل الله صيامي وصـيامك ... وأعـانني وإياك على طاعته في صباحي وصـباحك ... ومسائي ومسائك ...

والحمـد للـه تعـالى دائمًـا ... والصـلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه دائبًا.